

بحث في الكامل

﴿ النقد عند الافرنج ﴾ تفرغ بعض كتّاب الغرب للنقد حتى صار عندهم علماً خاصاً برأسيه وجملت له جرائد ومجلات همّها نقد التأليف وتبيان صحيح الكلام من فاسده بما لا تحق فائدته لمطالع واصحاب التأليف والمتصددين للانفاضة ان كانوا احياء . ولقد اشتركت في احدى المجلات العلمية الباريزية ست سنين كانت جل استفادتي من مقالة ينشرها رئيس التحرير وهي في نقد تأليف نشر حديثاً . فبدأ الناقد بذكر المؤلف اولاً وايراد طرف من ترجمة حياته وتعيين منزله من العلم والادب ثم يجول في المؤلف جولة يبين فيها موضوعه وثمرته غضة كانت او قحة . وهنأيت القصيد في هذا الباب والفائدة التي يستلذ اقتباسها الراغبون في الوقوف على الحقائق والعمل بمضامينها . وان من عزت اوقاته وبعد عليه النقاط المعارف من مظانها وطايبها من تضاعيف الصحائف ليستغني بتلاوة اعمدة قليلة عن الخوض في المطولات ويحترق من تعب غيره

فالنقد عند الغربيين من الفنون الراقية كما كان عند العرب ايام استجرت حضارتهم وزخرت بحار علومهم . وطريقة العرب عيارة عن شروح وردود والمقصد واحد . وقد رأيت ان أحاول احذاه مثال الاسلاف والاحلاف وان لم يدرك القاطع شأؤ الضليغ ولم يتساءل قل وكثير تغيرت الكتب القديمة بدل الحديثة اذ قلما يؤول لمهدنا بلغتنا ما يستحق عناء البحث على هذه الطريقة فابداً الآن بالكلام على كتاب الكامل في اللغة والادب . والتأليف كما قال ابو حيان يكون اما لاختراع معدوم او لجمع متفرق او تكميل ناقص او تفصيل مجمل او تهذيب مطول او ترتيب مخلط او تعيين مبهم او تبين خطا

﴿ مؤلف الكتاب ﴾ هو ابو العباس محمد بن يزيد النحوي المعروف بالمبرد المتوفى سنة ٢٨٥ هـ كان اماماً في النحو واللغة ألف التأليف النافمة منها كتاب الكامل وهو من أمهات كتب الادب في العربية ومنها كتاب المقنضب والروضة وغيرها . ذكر ابن خلكان ان المبرد اخذ الادب عن ابي عثمان المازني وابي حاتم السجستاني واخذ عنه نطقه وغيره من الائمة . وكان المبرد يحب الاجتماع في المناظرة بشمل صاحب كتاب الفصح للاستكثار منه وتعلم يكره ذلك ويمتنع منه . قيل خلقن ثلث (زوج ابنته) لم يابى ثلث الاجتماع بالمبرد فقال لان المبرد حسن العبارة حلوا الاشارة فصيح اللسان ظاهر البيان وتعلم مذهبه مذهب العلمين فاذا

اجتمعوا في محفل حُكِّمَ للمبرد على الظاهر اى ان يعرف الباطن . وكان المبرد كثير الامالي
حسن النوادر ونظم فيه وفي ثعلب ابن الملاف اياتاً ماثرة وهي

ذهب المبرد وانقضت ايامه وليذهبن اثر المبرد ثعلب
يت من الآداب اصبح نصفه خرباً وباقي بيتها فحيزب
فابكوا لما سلب الزمان ووطنوا للدمر انفسكم على ما يلب
وتزودوا من ثعلب فيكاس ما شرب المبرد عن قريب يشرب
وارى لكم ان تكتبوا انفاسه ان كانت الانفاس مما يكتب
وكان المبرد كثيراً ما يشد في مجالسه

بامن تلبس اثواباً يتبه بها تيه الملوك على بعض المساكين
ما غير الجمل اخلاق الحمير ولا نقش المبرازع اخلاق البراذين

وصف التأليف في كتاب الكامل ” يجمع ضرباً من الآداب ما بين كلام منشور
وشعر مرصوف ومثل مائر وموعظة باللغة واخيار من خطبة شريفة ورسالة بليغة “ فسر ما وقع
فيه من كلام غريب او معنى مستغلق وشرح ما عرض فيه من الاعراب شرحاً شائياً واجاد في
انتقائه تنب من صحيح الكلام الجزل الذي يتخذ حجة في الصحة وانموذجاً في الفصاحة واظن
المبرد في اختياره للكامل احسن من اختياره للروضة وكأنه فيما يظهر جعل الكامل للصحيح
من الكلام والروضة لفاسد وبضدها لتبين الاشياء

ويخيل لي ان ابن عبد ربه الاندلسي لم ينصف المبرد عند ذكره في العقد القريد سوء
الاختيار وانه اغلب على طبائع الناس من حسن الاختيار فقال : ألا ترى ان محمداً بن يزيد
النخعي على علمه باللغة ومعرفته باللسان وضع كتاباً سماه بالروضة وقصد فيه الى اخبار الشعراء
المحدثين فلم يختر لكل شاعر الا ابرد ما وجد له حتى انتهى الى الحسن بن هانيء وقلنا يا تي له
يت ضعيف لفة نظمته وسبوتة بيته وعدوبة الفاظه فاستخرج له من البرد اياتاً ما سمعناها
ولا رويناها ولا ندرى من اين وقع عليها وهي :

ألا لا يلني في القمار جليسي ولا يلني في شربها بعبوس
تمسحها قلبي بقبض عشقها الي من الاشياء كل نيس

واين هذا الاختيار من اختيار عمرو بن بحر الجاحظ حين اجتلب ذكره في كتاب الموالى
فقال ومن الموالى الحسن بن هانيء وهو من اقدر الناس على الشعر واطبعهم فيه ومن قوله
فجاء بها صفراء بكراً يزنها الي عروماً ذات دال معتي

فلا جلتها الكاس ابدت لناظري محاسن لث بالجمال مطوق
ومن قوله ساع لكَاس الى ناس على طرب كلاها عجب في منظر عجب
قامت تريك وشمل الليل مجتمع صبحاً تولد بين الماء والعنبر
كَان صفري وكبرى من فقاغها حصاه در على ارض من الذهب
وجل اشعار الخريات بدعة لا نظير لها شطرها كلها وتخطاها الى التي جانتها في بردو
فا حبة لطفة هذا الاسم المبرد الألبرد انتهى

لا يتبرم المطالع بقرائة الكامل اذ يتراوح فيه بين النثر والنظم والآثار والاخبار على ان
ابراهه لست على نسق واحد في الطول والقصر فقد يتبعي الفصل الواحد في صحتين او ثلاث
وقد يتبعي الآخر الى مئة وخمس واربعين صحيفة او اقل من ذلك كما هو الشأن في باب
اخبار الخوارج فانه استغرق خمس الكتاب مع انه لم يبدأ على ما قال لتتصل فيه اخبارهم
” ولكن ربما انصل شيء بشيء والحديث ذو شجون ويقترح المقترح ما يفسح به عزم صاحب
الكتاب ويصدّه عن سنه ويزيله عن طريقته “ بهذا اعتذر المصنف عن هذا الباب وقد
اجاد فيه ما شاء واتى من انباء زعماء الخوارج بما يبعث معناه الاسى في النفوس ويحكم مبناه
ملكه الفصاحة في الاسن مثل اخبار عمران بن حطان وقطري بن النجاة وغيرها من رجال
الاسلام وامراء الكلام

والمؤلف في كل ما اورده من الفوائد التاريخية والادبية ابان عن افكار سامية ومقاصد
شريفة فهو حر فيما نقل حر فيما امل متفضل على التاريخ فينا ضم شتائه من اخبار الاباضية
والصفورية والازارقة . وربما ستم بعضهم من ذكر اسماء وانباء يقرأها ولا يكاد يفهمها في الغالب
فعليه اذا وقع له شيء من ذلك ان يشتم عقله وعلمه فقد طال المهديتنا وبين العرب الخلف
وضعت سند علومهم بحيث اصبحنا لا نقدر ما ورثناه حق قدره الا اذا توفر المره على الدراسة
وخالطت تلك المعاني الروح بخالطة الصهباء الماء وتمكنت من النفوس تمكن الفصاحة من
السن العرب المرءاء

مشور الكامل في هذا الكتاب من الكلام المرسل العربي البحث الذي لم تشبه شائبة
التكلف ما لو استظهره من شدا شيئاً من الأدب لغلا قوله وصمت منزله . فما نقله رسالة عمر
ابن الخطاب في القضاء الى ابي موسى الاشعري ” وهي التي جمع فيها جمل الاحكام واختصرها
باجود الكلام وجعل الناس بعدها يتخذونها اماماً ولا يجد بحق عنها معدلاً ولا ظالم عن
حدودها نجماً “ وهي :

أما بعد فإن القضاء فريضة محكمة وسنة متبعة فأنهم إذا أدلوا اليك فإنه لا ينفع
تكلّم بحق لا نفاذ له. أس بين الناس في وجهك وعدلك ومجلسك حتى لا يطعم شريف في
حيفك ولا يأس ضعيف من عدلك. البينة على من ادعى واليمين على من انكر والصلح جائز
بين المسلمين الأصحاء أهل حراماً أو حرام حلالاً. لا يمنعك قضاء قضيتهُ اليوم فراجعت فيه
عقلك وهديت فيه لثبتك ان ترجع الى الحق فان الحق قدّم ومراجعة الحق خير من
التأدي في الباطل. الفهم الفهم فيما تلجلج في صدرك مما ليس في كتاب ولا سنة. ثم اعرف
الاشياء والامثال ففس الامر عند ذلك واعمد الى اقربها الى الله واشبهها بالحق واجعل
لمن ادعى حقاً غائباً او ينة أمدأ ينتهي اليه فان احضر ينة اخذت له بحقهِ والأ استخلفت
عليه القضية فإنه انى للشك واجلى للعمى. المسلمون عدول بعضهم على بعض الأجهل إذا في حد
او غيرك با عليه شهادة زور او ظنيتا في ولاء او نسب فان الله تولى منكم السرائر ودرأ بالينيات
والايمان. وياك العلق والتأذي بالخصوم والتكبر عند الخصومات فان الحق في
مواطن الحق يعظم الله به الاجر ويحسن به الذخر فمن صحّت ينة واقبل على نفسه كفاه الله
ما ينة وبين الناس ومن تخلق بما يعلم الله انه ليس من نفسه شانه الله فما ظنك بشواب غير الله
عن وجل في عاجل رزقه وخزان رحمة والسلام

وهنا اندفع المؤلف على عادته في شرح المستعلق من "حكيم الاخبار وبارع الآداب"
فقال ما ملخصه: قوله أس بين الناس في وجهك وعدلك ومجلسك سرّ بينهم وتقديره اجعل
بعضهم أسوة بعض. لا يطعم شريف في حيفك في ميلك ممة لشرفه. فيما تلجلج في صدرك
تردد واصل ذلك المضمّة والأكلة يرددها الرجل في فيه فلا تزال تتردد الى ان يسفها او
يقذفها والكلمة يرددها الرجل الى ان يصلها باخرى يقال للبي جلاج وقد يكون من الآفة
تعتري اللسان. ظنيتا في ولاء او نسب هو المتهم واصله مظنون وهي ظننت التي تتمدى الى
مفصول واحد نقول ظننت يزيد وظننت زيدا اي اتهمت. درأ دفع. العلق ضيق الصدر
وقلة الصبر يقال في سوء الخلق رجل غلّق من فوطم أغلق عليه امره اذا لم يتضح ولم يتفتح من
ذلك فوطم غلق الرهن اي لم يوجد له تخلص

وبما يروى لاختصاره وسمو افكاره ما أورده من ان الاحنف بن قيس لما مات وكان
موتهُ بالكوفة مشى المصعب بن الزبير في جنازته بغير رداء وقال اليوم مات سيد العرب فلما دفن
قامت امرأة على قبره فقالت: "لله درك من جحّن في جحّن (اي مستور في قبر) ومدّرج في
كفن فسأل الذي فجعا بموتك واجلانا بفقدك ان يجعل سبيل الخير سيدك ودليل الخير

دليلك وان يوسع لك في فبرك ويفتر لك يوم حشرك فوالله لقد كنت في المعافل شريفاً وعلى الارامل عطوفاً ولقد كنت في الحي سواداً والى الخليفة موقداً ولقد كانوا لقولك مستمعين ولربك متبعين". قال فقال الناس ما سمعنا كلام امرأة ابليغ ولا اصدق معنى منها . قلت ومن يطالع سيرة الاحنف وخبر تلك النفس الكبيرة ير ان رثاء هذه المرأة له من ابليغ ما خطه الرجال والنساء وتثقل له سلامة النطرة الخالصة عن زين التصنع . واحر يعض من يدعون الادب لمهدنا فينبهون في المقابر لتأبين ميت عزيز ان يقتدوا بهذه الاعرابية في اخضرار مراثيمهم فما قل وقتر خير مما كثروا . فان بعضهم قد يستوفون الحضور ساعة في وهج الشمس ويرد الشتاء يلوكون الكلام ويمعدون عن المرام فتكون المصيبة ثنتين عناه الخطب وعناه الخطب

منظومه يظهر ان المبرد طالع كثيراً من دواوين العرب وانتى طرفاً سالحاً منهاجها ما وقع اختياره عليه زبدة لزيد كما هو الشأن في ديوان الحماسة الذي اختاره ابو تمام الطائي من شعر العرب العرابة ومن الامثوزجات ما نقله من طريق شعر الحرث بن ظالم من قوله

وكانه شعر معاصر

فما فقدت الصوت منهم واطننت	مصابع شبت بالمشاء وانور
وغاب تمير كنت ارجو غيوبة	وروح رعيان ونوم سحر
ونقصت عني العين اقبلت مشية ال	حجاب وركني خيفة القوم ازور
نجيت اذ فاجأتها فتولت	وكادت بمكنون التجة تجهر
وقالت وعضت بالبنان فضحني	وانت امرؤ ميسور امرك اعمر
اربتك اذ هنا عليك لم يخف	رقيباً وحولي من عدوك حضر
فوالله ما ادري العجيل حاجة	سرت بك ام قد نام من كنت تحذر
نقلت لها بل قاذي الشوق والهوى	اليك وما عين من الناس تنظر
فيا لك من ليل تقاصر طولها	وما كان لي لي قبل ذلك يقصر
وبالك من ملهى هناك ومجلى	لنا لم يكدره علينا مكدر
يمج ذكي المسك منها مفلج	رقيق الحواشي ذو غروب مؤثر
يرف اذا يفر عنه كأنه	حصى برد او اخوان سنور
وترو بينيها الي كما رنا	الى ريب ومط الخيلة جزور
فما نقص الليل الا اقله	وكادت توالي نحمه نغور
اشارت بان الحي قد حان منهم	هبوب ولكن موعدك لك عزور

فما راغني إلا منادى برحله
فطارت من قد أشور منهم
نقلت أباديهم فيما انوتهم
فقلت تحققتا لما قال كاشح
فان كان ما لا يد منه غيره
اقص على اخي بدء حديثنا
لعلها ان تبغيا لك مخرجاً
فقامت كشيياً ليس في وجهها دم
فقلت لاختيها اعينا على فتى
فانابتا فارناعتا ثم قالنا
يقوم فيشي يننا متكراً
فكان مجي دون من كنت اني
فلا اجزنا ساحة الحي قلن لي
وقلن أهذا دأبك الدهر سادراً

(شرحها: شئت اوقدت . انور ان شئت همزت وان شئت لم تهمز وانما المحز لانضمام الواو . فمير انما صفراء لانه ناقص عن التمام وهذا في اول الشهر وكذلك يصفر في آخر الشهر لان نقصان نيبها واحد . السمير جمع السامر وهم الجماعة يتحدثون ليلاً . والحجاب حبة بينة . نفثت عني العين احترست منها وامنتها والنفضة امام المسكر القوم يتقدمون فينفضون الطريق . أزور يعني متجانياً يقال تزاور فلان اذا ذهب في شق . ذو غروب . غرب كل شيء حده . وانما يعني الاسنان . وموشرله اشروهو تشرير الاسنان في قول الناس جميعاً يقال لاسنانه اشرف هذا الشائع الدائع واما الشب فهو عندهم جميعاً برود في الاسنان . التوالي التوابع . تغور فتذهب . اخوذ من الغور . هيب انتباه . عزور موضع بينة . ابقاظهم جمع يقط . اباديهم اظهر لهم . ان ترجبا تسعا اي تسع صدورهما من قولهم فلان رحيب الصدر . احصر اضيق به ذرعاً . مجني ترمي . وقوله ثلاث شخوص والوجه ثلاثة اشخص ولكنه لما قصد الى النساء انت على المعنى وابان ما اراد بقوله كاعبان ومعصر)

﴿ جملة نواتد ﴾ من يدرس الكامل نشور لديه مادة مهمة من فصيح اللغة وشواردها ويقف على جانب من قواعد النحو والصرف والبيان مما لا غنى لتأدب عن معرفته دع ما هنالك

من اخبار الخلفاء ومجالس العلماء . فما نصَّ عليه من الفوائد عند شرحه : — قلنا اخانا للوفاء
بجارتنا — ان ذلك يكون على ضربين احدهما ان يكون نغم نفسه وعظمها فذكرها باللفظ الذي
يذكر الجميع به والعرب تفعل هذا ويعدُّ كبيراً ولا يبنفي على حكم الاسلام ان يكون هذا
مستملاً الا عن الله عز وجل لانه ذو الكبرياء كما قال الله تبارك وتعالى : انا انزلناه في ليلة
القدر . وانا اوحينا اليك . وكل صفات الله اعلى الصفات واجلها فما استعمل في المخلوقين على
تلك الالفاظ وان خالفت في الحكم تحسن جليل كقولك فلان عالم وفلان قادر وفلان رحيم
وفلان ودود الا ما وصفنا قبل من ذكر التكبر فانك اذا قلت فلان جبار او متكبر كان عليه
عيباً ونقصاً وذلك لخالفه هاتين الصفتين الحق وبمدهما من الصواب لانهما للبديء المبدأ الخالق
الباريء ولا يليق ذلك بمن تكسره الجوعه وتطغيه الشبعة وتنقصه الخطة وهو في كل امور مؤدبر
وما يؤثر من اخبار الخلفاء ما رواه عن الربيع بن زياد الحارثي وكان عاملاً لابي موسى
الاشعري على البحرين فكتب اليه عمر بن الخطاب رضي الله عنه يأمره بالقدوم عليه هو
وعهاله وان يستخلفوا جميعاً . قال فلما قدمنا اتيت يرفاً (مولى عمر) فقلت يا يرفا متروشد
وابن سبيل اي الميثاق احب الي امير المؤمنين ان يرى فيها عماله فأوما الي بالخشونة فاتخذت
خفين مطارقين ولبست حبة صوف ولئت رعامتي على رأسي فدخلنا على عمر فصفنا بين يديه
فصعد فينا وصوب فلم تأخذ عينه احداً غيري فدعاني فقال من انت قلت الربيع بن زياد
الحارثي قال وما نتول من اعمالنا قلت البحرين قال كم تر تزق قلت الفأ قال كثير فما تصنع به
قلت الترت منه شيئاً واعود به على اقارب لي فما فضل عنهم فعل فقرأه المسلمين قال فلا بأس
ارجع الي موضعك فرجعت الي موضعي من الصف فصدفينا وصوب فلم نفع عينه الا علي
فدعاني فقال كم منك قلت خمس واربعون سنة قال الان حين استحكمت . ثم دعا بالطعام
واصحابي حديث عيديم بلين العيش وقد تجوعت له فأتي بجنز واكسار يعير بفعل اصحابي يعافون
ذلك وجعلت آكل فأجيد فجعلت انظر اليه يلحظني من بينهم ثم سبقتني كلمة تبيت ابي
سخت في الارض فقلت يا امير المؤمنين ان الناس يحنجون الي صلاحك فلو عمدت الي طعام
البن من هذا فزجرني ثم قال كيف قلت قلت اقول يا امير المؤمنين ان تنظر الي توتك من
الطحين فينزل لك قبل ارادتك اياه يوم ويطبخ لك اللحم كذلك فيؤق بالخبز لينا واللحم غريصاً .
فسكن من غربه وقال اهمنا غرت قلت نعم فقال يا ربيع انا لوشاه ملانا هذه الرحاب من
صلائق وسبائك وصاب ولكني رأيت الله عز وجل نبي على قوم شهوراتهم فقال اذهبتم طيباتكم
في حياتكم الدنيا . ثم امر ابا موسى باقراي وان يستبدل باصحابي

(قوله فلتتها على رأسي ادرت بعضها على بعض على غير استواء الصلائق ما عمل بانار
 طيحا وشياً يقال صلت الجنب اذا شوته وصلقت اللحم اذا خيخته على وجوه . وسبائك يريد ما
 يسبك من الدقيق فيؤخذ خالصه يريد الخوازي والعتاب صياغ يتخذ من الخردل والزبيب
 ومن ذلك قبال للفرس صنائي اذا كان في ذلك اللون . آكار بعير فان الاكسر والجدل
 والوصل العظم يتفصل بما عليه من اللحم . نعي على قوم شهواتهم عليهم بها ووجهم . غرت
 ذهبت يقال غار الرجل اذا اتى الغور وناحتها نمتا الخيضة من الارض والمجد اذا اتى نجداً
 وناحتها نمتا ارتفع من الارض . غربه حده . خفين مطارقين مطبقين يقال طارقت نعلي اذا
 طبقتها ومن قال طرقت او اطرقت فقد اخطأ)

هذا ما ساعد عليه التمام للبحث في الكامل وهو على الجملة من خير ما في الايدي من
 كتب الادب مشكول محل الاشكال من الفاظه تغلب الصحة والضبط على الطبعة المصرية
 منه حريء بالكتاب ان تزدان به وبالناس ان يتأدبوا بالنظر فيه ولا غرو فهو الكامل باسمه
 محمد كرد علي

ومناهج والكمال لله وحده

فردريك الكبير ملك بروسيا

تميد - اذا بسط القارئ اللبيب خريطة اوربا امامه يري في شمالي المانيا على سواحل
 البلطيك بقعة من الارض حول برلين يقال لها براندينج Brandenburg كانت امارة
 مستقلة تحت زعامة مركب من آل هوهنزولرن Hohenzollern والى شرقها بقعة اخرى يقال
 لها امارة بروسيا تحت امرة دوق . في بدء القرن الثامن عشر كان صاحب براندينج اميراً
 خطيراً ذكي الفؤاد وفيه دهاء سياسي وطمع شديد فنقلب على بروسيا وضربها الى امارتين
 وجعلهما مملكة واحدة باسم مملكة بروسيا بمصادقة امبراطور المانيا واتخذ برلين عاصمة واقام فيها
 ملكاً باسم الملك فردريك الاول وكان له ولد في العاشرة من عمره اسمه فردريك ولهم جعله ولياً
 للعهد حتى اذا ادرك الثامنة عشرة تزوجه بصوفيا دوروثي بنت جورج منتخب هانوفر الذي تباراً
 بعد حين عرش انكلترا وتلقب الملك جورج الاول

مولد فردريك وحدانته

وفي ٢٤ يناير سنة ١٧١٣ ولد لولي العهد غلام سماه فردريك والمنكحة البروسية يومئذ في
 السنة الثانية عشرة من عمرها فلما بلغ الشهر الرابع عشر توفي جده فردريك الاول مؤسس